المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم
جاك بيرك نموذجا

د. رشيد لعلالة[1]

ملخص:

أروم من خلال هذه المقالة الحديث عن اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم، بالتطرق لنموذج المستشرق الفرنسي جاك بيرك الذي عاش في المغرب مدة من الزمن، وألف كتابه الموسوم ب" محاولة لترجمة معاني القرآن الكريم"، والتعريف بالمؤلف وكتابه، وذكر أقوال المناصرين والمناهضين له خصوصا بعد صدور ترجمته هذه التي أحدثت جدلا كبيرا، واتهامه بالعداء للإسلام ونهجه أسلوب التضليل الذي نهجه في ترجمته غير البريئة التي لا تخلُ من أخطاء سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة، مع استحضار بعض الأقوال- من باب الإنصاف- دافع بها الكاتب عن نفسه.

Résumé :

Cet article a comme objectif principaleest d'indiquer l'étude du Coran par les orientalistes, et surtout concernant la traduction du Coran, donc j'ai choisi l'orientaliste Français Jack BERQUE qui a une traduction en ce domaine, puis j'ai essayé de donner une idée sur lui et sur son travail, et enfin j'ai cité un ensemble des paroles qui l'accuse de duperie et trahison envers l'Islam et le Coran et le prophète Mohammed que Allah le bénisse.

Summary:

In this article i'm talking about orientalism and translation of Coran to other languages, i chosen the Frensh orientalist named Jack BERQUE who translate Coran to Frensh, but he was accused by Muslims and his country especially after printing his book « Le Coran essai de traduction », so i gave some ideas about Jack BERQUE and his work and of corse what the others thinking about this translation.

[1]- باحث أكاديمي في الفكر الإسلامي، كلية الآداب، الرباط.

تمهيد:

اهتم المستشرقون بدراسة القرآن الكريم، ولا شك أن هذه الدراسة لم تكن بريئة في أغلب الأحيان، بل إن أغلبهم كان هدفه ضرب معتقد المسلمين، أو على الأقل التشكيك في تشريع الله وأحكامه والافتراء على نبيه صلى الله عليه وسلم بتأليف القرآن الكريم، فعملوا على ترجمة معاني كتاب الله إلى لغاتهم الأمر الذي استعصى على أغلبهم نظرا لعدم تمكنهم من اللغة العربية أولا ولأن اللغة القابلة-المترجم لها- عاجزة عن استيعاب المعاني الواردة في القرآن الكريم، فأقحموا في ترجماتهم أمورا لا تمت للنص الأصلي بصلة، ومن هؤلاء المستشرقين، الفرنسي جاك بيرك الذي ترجم لمعاني القرآن الكريم سنة 1990م.

1. ترى من هو جاك بيرك؟
2. ما الأثر الذي خلفته ترجمته لمعاني القرآن الكريم في نفسه وفي الآخر؟
3. كيف تعامل مع المناصرين والمناهضين له خصوصا بعد صدور ترجمته لمعاني القرآن؟

تروم ورقتي هذه الكشف على نوع مهم من الترجمة أولا، والتعريف بصاحبها الذي أحدث جدلا واسعا بعد صدور ترجمته ثانيا، مع بيان مدى انفتاحه على الإسلام والمسلمين وحضارتهم من خلال ترجمته هذه، ومدى اهتمام الباحثين والنقاد بها ثالثا.

مقدمة

اهتم المستشرقون منذ قرون بدراسة القرآن الكريم وترجمة معانيه، وذلك إما محاولة لفهم دستور المسلمين وشريعتهم، وإما طلبا لضرب عقيدتهم والتشكيك في دين الله عز وجل والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اعتبره أغلب هؤلاء الدارسين مؤلف القرآن الكريم، وليس موحى من رب العالمين، ولا كلاما له، ولعل السبب الثاني هو الهدف الأسمى لأغلب من تطرق للقرآن الكريم بالدراسة، فقد بينت الدراسات المحققة في الموضوع أن القرآن ترجمه المستشرقون ليحاربوه، وكانت عملية الترجمة تسودها المعاداة المطلقة للإسلام[1].

وتجدر الإشارة إلى أن التأليف في هذه النوع من الترجمة بدأ منذ القرن 12 الميلادي على يد رئيس رهبان دير كلوني بطرس، ثم أعقبتها ترجمة مطران كنيسة سقوفيا"جون السقوفي" من العربية إلى الإسبانية ثم إلى اللاتينيةسنة 1492م، لتتوالى الترجمات إلى باقي اللغات نحو الألمانية والهولندية والإنجليزية والإيطالية والفرنسية وغيرها من اللغات.

المطلب الأول: جاك بيرك وترجمة معاني القرآن الكريم.

يعتبر جاك بيرك من كبار المستشرقين الفرنسيين الذين أقبلوا على دراسة القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية،ولد بالجزائر العاصمة عام 1910م، وعاش فيها طيلة 20 سنة الأولى من حياته، تعلم خلالها اللغة العربية وتعمق فيها بالموازاة مع انتقاله إلى المغرب

[1] - انظر التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، ص29 من مجلة الفرقان المغربية العدد 28-1413هـ.

لمزاولة بعض المناصب الإدارية والعلمية، يقول الدكتور حسن بن إدريس عزوزي[1]:" وكان لتعيينه مراقبا مدنيا إبان عهد الحماية الفرنسية في المغرب من 1934م إلى 1939م أكبر الأثر في الاحتكاك بقبائل المغرب والاطلاع على مختلف اللهجات والعادات والتقاليد"[2]، كما أن عمله كمراقب مدني في المنطقة العسكرية في منطقة " إيمنتانوت" المغربية حفّزه لتعلّم اللغة البربرية، واقترب من عامة الناس ليتمكن من معرفة البنى الاجتماعية لسكان المنطقة، فأعد أطروحة حول قبيلة سكساوة[3] البربرية[4]، أدّى به هذا الانفتاح الكبير على العرب والمسلمين، وعلى المغاربة على وجه الخصوص إلى تأليف عدد لا يستهان به من الكتب، التي تبين شدة اهتمامه بالثقافة العربية والإسلامية، من أبرزها:

1. العرب من الأمس إلى الغد سنة 1960م.
2. المغرب بين حربين سنة 1962م.
3. المغرب تاريخ ومجتمع سنة 1974م.
4. الإسلام في مواجهة التحدي سنة 1980م.
5. الإسلام في زمن العالم سنة 1984م.
6. محاولة لترجمة معاني القرآن الكريم سنة 1990م.

وغيرها كثير، فالناظر إلى هذا الزخم من الكتب حول العرب والمسلمين يظهر تأثره بالثقافة العربية والإسلامية، وانفتاحه الكبير على اللغة العربية أيضا مما جعله عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ سنة 1989م، كما شغل منصبأستاذ كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر بكوليج دو فرانسcollège de France منذ 1956م إلى 1981م (طيلة 25 سنة).

إننا نتحدث عن ترجمة ليست كباقي الترجمات، إنه القرآن الكريم المعجز بنظمه وبيانه، وهو الذي أعجز العرب الخُلَّص وتحداهم بأن يأتوا بمثله أو سور مفتريات مثله، وما استطاعوا لذلك سبيلا، فجاك بيرك كان لبيبا في اختياره لعنوان كتابه "محاولة لترجمة معاني القرآن الكريم"، وليس ترجمة القرآن الكريم، وقد سأله أحد الصحفيين المصريين عن سر تواضعه في اختيار هذا العنوان، فأجاب قائلا:"هذا التواضع يرجع بالدرجة الأولى إلى صعوبة العمل، فالقرآن الكريم يجمع بين التعقيد الشديد والبساطة المتناهية مما يجعل الترجمة شبه مستحيلة دون إضافة التفسيرات التي توضح بعض المعاني، وهذه التفسيرات قد تؤثر بدورها في القيمة الجمالية للعمل، لذلك لاقيت صعوبة شديدة في محاولة توصيل المعنى دون إضافات

---

[1] - أستاذ بكلية الشريعة، جامعة القرويين، رئيس مركز الدراسات والأبحاث في مجال تصحيح صورة الإسلام، ورئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم مولاي يعقوب بفاس المغرب.

[2] - ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك للدكتور حسن بن إدريس عزوزي ص2.

[3] - قبيلة أطلسية أمازيغية تقع على جبال الأطلس الكبير شمال شرق مدينة تارودانت، وتمتد مجالاتها الترابية إلى الجنوب الشرقي لمدينة ايمي نتانوت،ويقال لها أيضا سكسيوة، أما اسمها الأصلي الأمازيغي فهو (ايسكسلون).

[4] - شيخ المستشرقين الفرنسيين، جاك بيرك ظالما أم مظلوما للدكتور سعيد اللاوندي ص 368 بتصرف يسير.

قد تؤثر في عظمة وجمال الآيات القرآنية"[1]، اعترف المترجم بصعوبة أو استحالة ترجمة النص القرآن، كما يتبين من قوله أيضا:"ليست غير محاولة لتفسير معاني القرآن الكريم، لأن الترجمة الحقيقية للنص القرآني مستحيلة، فألفاظ وعبارات القرآن الكريم لها مدلولات ومؤشرات عميقة، ولا تستطيع اللغة (القابلة) أن تنقلها بكل ما تحتويه من معان ظاهرة وخافية"[2].

على كل حال فإن جاك بيرك بذل مجهودا كبيرا لأجل ترجمة معاني القرآن الكريم، أخذت منه أكثر من عقدين من الزمن (20 سنة)، وقد أظهر إعجابه بالقرآن والإسلام كما يحكي ذلك صديقه سعيد اللاوندي[3]:"إنني لم أزعم في يوم من الأيام أنني أو غيري قادر على ترجمة النص القرآني... وإنما قصارى أمري أني اجتهدت في ترجمة معاني هذا الكتاب المجيد الذي هبط على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليكون نورا وهداية للناس أجمعين. ولقد سلخت من عمري أكثر من 20 عاما في ترجمة معاني ومدلولات النص القرآني المقدس، لأنني أؤمن أنه يشتمل على حكمة الأولين والآخرين، ومن حق شعوب الأرض أن تعرفها وتهتدي بها... ولأنني أزعم أنني أمتلك ناصية اللغتين العربية والفرنسية، فلم أتردد في القيام بهذه المهمة".[4]

إنها اعترافات من جاك بيرك حول صعوبة تناول النص القرآني بالترجمة والتفسير إلى لغات أخرى غير العربية رغم أنه تمكن على حد قوله من ناصية اللغة العربية، لكنه بقي عاجزا عن إيجاد ترجمة جيدة لبعض المفردات التي استعصى عليه وغيره إيجاد مرادفات لها تدل على المعنى نفسه، وهذه الصعوبة هي التي تبين إعجاز القرآن الكريم في نظمه وبيانه، فهو الكلام القليل المبنى الكثير المعنى، والذي يتَمَنَّع أن يترجم إلى لغات أخرى ويبقى اللفظ فصيحا والمعنى بليغا بالشكل الذي أراده الله عز وجل، الأمر الذي أشار إليه العديد من العلماء والدارسين، يقول أحد المتخصصين في ترجمة القرآن الأستاذ صلاح الدين كشريد – وهو مترجم لمعاني القرآن إلى الفرنسية –: " وجدت بالفعل صعوبات جمة في ترجمة بعض الكلمات القرآنية مثل الأمة، الحق، الفاسقون، اللطيف، البر، المعروف، المنكر، وحزب. بما لها من معان مختلفة... ومع ذلك، وبالرغم من حرصي الشديد على ذكر كل التأويلات الممكنة للآية الواحدة،

---

[1]- مجلة القاهرة عدد مذكور ص 14 نقلا عن مقالة للدكتور عزوزي بعنوان ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم لجاك بيرك.

[2]- انظر: مصطفى عبدالغني. ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى التفسير. ـ الاجتهاد. ص 115 ـ 137. والنصُّ من ص: 119، نقلاً عن: سعيد اللاوندي.

[3]- سعيد اللاوندي (1955) من مواليد قرية المهندس التابعة لمدينة شربين بمحافظة الدقهلية، بمصر،كاتب صحفي بالأهرام القاهرية وخبير في العلاقات السياسية، وأستاذ محاضر في جامعات مصر وسويسرا وبلجيكا، له حوارات مهمة إلى درجة السبق الصحفي مع مفكرين لهم باع كبير في مسارات الفكر، أمثال :جاك بيرك، محمد أركون اللذان يعدانه من الأصدقاء المقربين، كذلك حواراتهامة مع برهان غليون، أمين معلوف؛ عبد الرحمن بدوي، عبد الرحمن الشرقاوي، سعد الدين وهبة قبل وفاته بيوم واحد، غالي شكري في آخر أيامه بباريس، حاصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة السياسية من جامعة باريس السوربون (1987)، دبلوم الدراسات العليا في تاريخ الفلسفة (1983)، دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية (1982)، دبلوم في اللغة والحضارة الفرنسية (1981)، بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة.

[4]- شيخ المستشرقين الفرنسيين جاك بيرك ظالما أم مظلوما؟ لسعيد اللاوندي ص363-364.

فلا يمكن للنص الفرنسي، أن يلم بكل المعاني التي توحي بها الآية القرآنية، ولكن الترجمة تمثل ما توصل إليه اجتهاد المترجم نفسه وفهمه الخاص، مما يقرب معاني القرآن من عقل القارئ بالفرنسية[1]"، وهذا أمر لا يمكن لمترجم معاني القرآن الكريم أن ينكره، كيف لا وهو الذي أعجز العرب الذين خبروا العربية وكانوا يتباهون بأنفسهم مدين امتلاك ناصيتها، فلما نزل بينهم وجدوا لغتهم لا ترقى لجزالة ألفاظه وقوة معانيه، لذلك اشترط المجيزون لترجمة معاني القرآن الكريم نحو العلامة الفقيه الحجوي الثعالبي والعلامة عبد الله كنون رحمهما الله تعالى الإلمام باللغة العربية، يقول الفقيه سيدي محمد الحجوي الثعالبي رحمه الله حينما استفتي حول جواز ترجمة معاني القرآن الكريم:" إن ترجمة القرآن العظيم إلى اللغات غير العربية للعارف الماهر في العربية وفي اللغة الأخرى التي يريد الترجمة إليها بحيث يكون عارفا بالنحو والصرف والبيان بفنونه وبالأصول مع أسباب النزول وكل الآلة التي توصله لذلك، ويكون عارفا بما يناسب ذلك من اللغة التي يترجمه إليها أمر جائز لا بأس به كما تقتضيه الأدلة الشرعية"[2].

المطلب الثاني: أثر ترجمة بيرك في الآخر.

تضمنت ترجمة جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم أثرين متضاربين، مثل الأثر الأول صدمة كبيرة لدى أغلب الفرنسيين الذي عجبوا من شخص كاثوليكي يقبل على ترجمة نصوص القرآن الكريم، وهو الأمر الذي أدى بوسائل الإعلام الفرنسية إلى التعتيم على ترجمته خشية انتشارها في صفوف الفرنسيين، لأنه كان يقول إنه سعى في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية حتى يتمكن الفرنسيون من الاطلاع عليه، والتعرف على القيم الإسلامية الرفيعة المبثوثة في نصوصه، وربما قصد بها مسلمي فرنسا على وجه الخصوص ليشككهم في دينهم نظرا لما تحويه ترجمته من ضلالات ودس مفتعل ومقصود حسب رأي الدكتورة زينب عبد العزيز التي ردت عليه في العديد من المقالات. رغم ذلك فإنه تحدث عن الانتشار الواسع لترجمته هذه إلى صديقه اللاوندي قائلا:"أسعدني أن طبعتي الأولى من الترجمة قد بيع منها – في أقل من أسبوعين- أربعة آلاف نسخة في الجزائر وحدها، ولقد علمت أن كثيرا من الجزائريين لم يفهموا حكمة القرآن إلا عبر ترجمتي لأنهم -كما تعلم- لا يعرفون اللغة العربية جيدا"[3]، كما أن تونس قد منحته وساما للجهد الضخم الذي بذله في ترجمته، وهذا لأن الرجل كان عالما باللغتين العربية والفرنسية، وملما بتراث العرب والمسلمين في كل العلوم، وقد أكد صديقه اللاوندي أنه كان يقطع أكثر من أربع ساعات في قراءات عربية متعددة، من بينها الشعر الجاهلي الذي كان يعشقه، وفي المقابل تعرض لنقد شديد من قبل المسلمين الذين نعتوه بالعداء للإسلام، وبنهجه لأسلوب التضليل في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، ودسه للسم في الدسم.

---

[1]- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم لمحمد صالح البنداق، ص131.

[2]- مقال بعنوان ترجمة القرآن العظيم لسيدي محمد الحجوي الثعالبي رحمه الله، مجلة المغرب، العدد 13 سنة 1933م ص 2.

[3]- شيخ المستشرقين الفرنسيين جاك بيرك ظالما أم مظلوما؟ لسعيد اللاوندي ص364.

لوحظت على ترجمة جاك بيرك ملاحظات عديدة وأخطاء كثيرة وقع فيها إما بقصد أو بغير قصد، لكن أغلب منتقدي ترجمته يقولون إنه تعمد الإساءة للإسلام نحو الدكتور حسن بن إدريس عزوزي الذي كتب "ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك"، والدكتورة زينب عبد العزيز التي ألفت كتابا خاصا في الرد على جاك بيرك سمّته" ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك"، ودافعت عن اختيارها لهذا العنوان قائلة:" نعم، وجهان لجاك بيرك، وليغضب كما يحلو له، فالقرآن ليس لعبة يلهو بها هو أو غيره من المغرضين، وأقول وجهان لأنه تعامل مع النص القرآني بوجه، ويتحدث عنه في أحاديثه السيارة بوجه آخر"[1]، وقد انتقدته بطريقة علمية لا تحامل فيها، فلم تبخسه حقه، بل على العكس تماما، فقد اعترفت بقامته العلمية، لكنه خاض في أمر جلل، وهو القرآن الكريم قالت: " لا شك في أن جاك بيركيعد من عمالقة الفكر الفرنسي المعاصر، ولا شك في أنه واحد من ألمع المستشرقين المولعين بالشرق حتى بثيابه وجلبابه الذي يرتديه، ولا شك كذلك في معرفته اللغة الفرنسية حتى مفرداتها البالية أو غير المستخدمة، ولا شك كذلك في معرفته اللغة العربية بدليل حصوله على عضوية المجمع- تقصد مجمع اللغة العربية بالقاهرة- ... ولا شك في الجهد الذي قام به لترجمة معاني القرآن، الذي هو جهد عملاق"[2]، لكن هذا لا يغير من حقيقة هذا المستشرق الذي دس الترهات في ترجمته بطريقة مقصودة هدفها التشويش على المسلمين، والأدلة على ذلك من كتابه أكثر من أن تحصى، يقول:" إن ترتيب السور في المصحف لا يتوافق مع الترتيب الزمني للتنزيل أو النزول، والأكثر من ذلك أننا نجد في إطار السورة الواحدة آيات نزلت في أوقات متباعدة، ولا ترى العقيدة ولا علوم الإسلام أي حرج في ذلك، بل إن التنافر بين ترتيب النزول وترتيب الجمع يتعاظم أحيانا ليصل إلى حد التناقض كما في سورة الأنفال وسورة التوبة أو الوشاية لدرجة أن الآيات تتلاحق في الطبعات، ولا تحمل العلامة التقليدية التي تشير إلى بدايتها، فتبدو وكأنها جزء من الآية السابقة"[3]، وهذا على سبيل المثال لا الحصر وإلا فإن الاتهامات أكثر من أن تحصر، الأمر الذي جعله وكتابه محط الدراسة والنقد بالأدلة والحجج الدامغة، وبيان زيفه وخِداعه لجمهور المعجبين به من العرب والمسلمين، ومن المؤسف حقا أن تخرج ترجمته هذه إلى النور وهي تحمل بين صفحاتها العديد من الظلمات والنواقص... وكلمة "العديد" هنا مجازية، فما من صفحة تخلو من الأخطاء[4]، قد تتاح لنا الفرصة للتفصيل في عرض كل هذه الأخطاء الفادحة التي ارتكبها جاك بيرك، نكتفي في هذا المقال بذكر بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1] - ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك للدكتورة زينب عبد العزيز ص7.

[2] - المرجع نفسه بتصرف يسير ص 11.

[3] - Jacques BERQUE, le Coran p 714-715.

[4] - ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك للدكتورة زينب عبد العزيز ص11.

1. ترجمته لكلمة "النصر" ب secours التي تعني النجدة والمساعدة، تقول زينب عبد العزيز :" أما سورة النصر فقد ترجمها إلى "النجدة المنتصرة، le secours victorieux، وهنا لا بد من وقفة، فكلنا نعرف أن كلمة النصر معناها بالفرنسية Victoire، وبالإنجليزية Victory، إلا أن جاك بيرك قد أصر على عدم استخدام هذا المعنى، فكلمة النصر التي ترد في القرآن أحد عشر مرة، وتصل تصريفاتها اللغوية إلى قرابة المائة مرة، لم يترجمها مرة واحدة لمعناها الحقيقي[1] .
2. ترجم قوله تعالى"إن نصر الله قريب"إلى! Le secours de Dieu est toujours proche ، ومعناه أن " نجدة الله دائما قريبة، وهنا يظهر البون الشاسع بين الآية الكريمة وبين النص المترجم، وخلاف المعنى واضح لمن له إلمام باللغة.
3. عدم استخدامه كلمة " مسجد" في ترجمته، مع العلم أن لها ما يقابلها باللغة الفرنسية وهي Mosquée، فكتب مكانها Sanctuaire وأحيانا كلمة Oratoire، والمعروف أن كلمة Sanctuaire مشتقة من اللاتينية وتعني" جزء من الكنيسة حول المذبح حيث تتم فيه المراسم الطقسية"، وقد تعني "مكانا مقدسا بصفة عامة"، وكلمة Oratoireمشتقة من اللاتينية أيضا ومعناها " كنيسة صغيرة من أجل استخدام جماعة معينة"، فبأي حق يترجم المسجد الحرام بتعبير !Sanctuaireconsacré، و مرة أخرى يترجمه ب l'Oratoire sacré[2].
4. ثم ترجم قوله تعالى "إن الصفا والمروة من شعائر الله"[3] ، إلى les repèrages de Dieu، ونعلم أن كلمة repère المشتقة من اسم repèrage تعني وضع علامة على شيء ما لأجل تعيين مكانه، مع العلم أن في اللغة الفرنسية كلمة تعني معنى "الشعائر" بالضبط، والتي كان عليه لزاما اعتمادها وهي les rites[4]، وهو مصطلح يعتمده حتى أهل الكتاب من اليهود والنصارى في كتبهم ولا أعتقد أن هذا المصطلح يغيب على رجل خبر اللغتين العربية والفرنسية معا كما يدعي؟ .!، وترجم العبارة نفسها-شعائر الله- في سورة الحج الآية 30 بطريقة أخرى حيث ترجمها ب: les observances de Dieu[5]، فإذا كانت العبارة نفسها فلماذا يترجمها في كل سورة بطريقة مختلفة !
5. وفي سورة التوبة الآية 117 ترجم قول الله تعالى :"لقد تاب الله على النبي" بقوله:

---

[1]- المرجع نفسه ص 21.

[2]- ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك للدكتورة زينب عبد العزيز ص 22-23 بتصرف يسير.

[3]- سورة البقرة الآية 157.

[4]- والغريب أني وجدت هذا التعريف في المعجم الفرنسيLAROUSSE، مما يدل على أن المصطلح معروف ومتداول:

LES RITES : Ensemble des règles et des cérémoniesqui se pratiquent dans une Église particulière, une communauté religieuse : Le rite romain. Le rite oriental.

[5]- انظر ص 355 من ترجمته.

Dieu s'est repenti envers l'Envoyé، فرغم أن كلمة repenti تعني معنى التوبة، لكنه في كل تصريفات هذا الفعل ترجمه فيما معناهأن "الله هو الذي يتوب عن خطئه" !، واستهجنت الدكتورة زينب عبد العزيز خطأه هذا قائلة:" من المعروف أن فعل "يتوب" بالعربية يقابل بالفرنسية se repentir، عندما يستخدمه إنسان، بمعنى أنه يتوب عن خطئه، وفي العربية أيضا نفس الفعل "يتوب" حينما يستخدم مرتبطا بالله عز وجل، فإنه تلقائيا وبلا تردد يأخذ معنى faire rémission، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يعفو عن أخطاء الناس، فهو فعل متعدّ، وهذا الاختيار أو هذه التفرقة في معنى هذا الفعل لا تغيب عن أي مسلم أو عن أي مترجم أمين"[1]، وهذا كلام قوي جدا من باحثة ومترجمة خبرت اللغة ووقفت على ترهات جاك بيرك المتعددة، ثم إنمصطلح Envoyé تعني "المبعوث" لكنها لا تؤدي المعنى الصحيح للنبي الذي يمكن ترجمته إلى Prophète، وقد ترجم أيضا "الرسول" في سورة البقرة الآية 214، بالمصطلح نفسه -Envoyé-، وهنا يظهر مدى الغلط الذي وقع لجاك بيرك، حيث إن كلا من معنيا الرسول والنبي متباينان في اللغة والاصطلاح. فقد ترجم قوله عز وجل :"حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله" إلى:

Envoyé et ses compagnons dans fois s'écrièrent : A quand le secours de Dieu ».

ففي هذه الآية الواحدة عدة أخطاء، أولها مصطلح Envoyé الذي سبقت الإشارة إليه، والثاني فعل s'écrièrent التي تعني "الصُّراخ"، أي صراخ الذين آمنوا معه، وهو مخالف لقوله تعالى " يقول" فهل القول يعني الصراخ؟ وهل من أدب الذين آمنوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصرخوا في وجهه ويتحدثون عن نصر الله؟ وأخيرا ترجم "نصر الله" إلى secours de Dieu، والتي تعني نجدة الله والتي لا تمتُّ إلى كلمة النصر التي تعني victoire.

6. وفي سورة يوسف "فلما رأى قميصه قُدَّ من دبر" ترجم الآية قائلا:

Sa chemise était trouée par derrière.

أي أنه تحدّث عن قَدِّ القميص بكلمة ثقب، أي أن قميصه كان مثقوبا من الخلف، وهذا لا يستقيم، بل أكثر من هذا فقد ترجمها في الآية 25 من السورة نفسها "واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر"، بقولهelle lui déchira la chemise par derrière، وهو هنا ترجم" قد القميص" بطريقتين مختلفتين: مرة trouée والتي تعني مثقوب، ومرة déchira والتي تعني مزقت؟ وقد عابت عليه الدكتورة زينب عبد العزيز ترجمته هاته، قالت:" فلماذا التغيير والنص واحد؟ ترى هل جاك بيرك الضالع في اللغة العربية- على حد قوله- لا يعرف أن قدَّ الثوب يعني شقه طولا، وأن كلمة trouer التي استخدمها، معناه: يثقب أو يخرق؟ !وأن الفرق شديد الوضوح والاختلاف بين شق الثوب طولا وبين خرقه؟ [2]!

[1]- ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك للدكتورة زينب عبد العزيز ص97.

[2] -ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك للدكتورة زينب عبد العزيز ص 24.

7. وفي مثال آخر على المزالق التي وقع فيها جاك بيرك في ترجمته، نجد أنه ترجم قوله تعالى:" إن الله لا يخلف الميعاد[1]" ب:

Dieu ne manque pas au rendez-vous، وهذا خطأ فادح من رجل يدعي تمكنه من اللغتين الفرنسية والعربية، فهو في ترجمته هذه يعني: "إن الله لا يتخلف عن المواعيد التي يرتبط بها"، وكأن الله جلت قدرته يضرب مواعيد مع خلقه، و لا يتخلف عنها، وكأنه هنا ساوى بين الخالق ومخلوقه، حاشاه سبحانه وجل في علاه، فالفرق كبير بين مصطلح "الميعاد" التي تعني "وعد الله" أو "وعيده" وبين كلمة rendez-vous، التي تعني "الموعد"، ولعله كان من الأجدر أن يترجمها على الشكل الآتي:

Dieu ne manque pas à sa promesse، والله أعلم.

8. وترجم قوله سبحانه عز وجل:"صِبْغَةَ الله ومن أحسن من الله صِبْغَة ونحن له عابدون"[2] إلى:

Une teinture de Dieu ! mais qui peut mieux teindre que Dieu, que nous l'adorons.

وهذه ترجمة خطيرة جدا، حيث إن بيرك تحدث عبر عن صِبغة الله بكسر الصاد التي تعني المِلَّة، أي الإسلام وفطرة الله بمصطلح "صباغة"Peinture، فشتان بين المعنيَيْن، وقد كان لزاما عليه الرجوع إلى كتب التفسير التي تشفي غليله، وتبين له الغلط الذي وقع فيه، ولعله تعمد الحديث عن الصباغة إشارة إلى أن النصارى يصبغون أولادهم بماء يسمونه ماء المعمودية، يقول القرطبي رحمه الله (ت671ه) مفسرا هذه الآية:"وأصل ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في الماء، وهو الذي يسمونه المعمودية، ويقولون: هذا تطهير لهم... قال ابن عباس: فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقا، فرد الله تعالى عليهم ذلك بأن قال:"صِبْغة الله" أي صبغة الله أحسن صبغة وهي الإسلام، فسمي دين الله صِبْغة استعارة ومجازا من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين كما يظهر أثر الصبغ في الثوب"[3].

ولم يكتف جاك بيرك بهذا الأمر بل تمادى فقال : "لا يوجد من يحسن الصباغة من الله" !Qui peut mieux teindre que Dieu!، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلا شك أنه تعمد الحديث عن الصباغة المتجذّرة عند اليهود والنصارى لكي يبين أن الأمر سيان حتى عند المسلمين، فيقع هؤلاء في الشك المفضي إلى الزيغ عن الصراط المستقيم. وقد حاول التهرب من سوء ترجمته بأن كتب في الهامش:"لا شك أنها إشارة ساخرة إلى التعميد المسيحي، إلا أن الإيحاء القوي لكلمة (صبغة) يتعدى معناها بكثير، ومع ذلك فالأفضل -في

---

[1]- سورة آل عمران الآية 9.

[2]-سورة البقرة الآية 137.

[3]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج2 ص 144 بتصرف يسير.

نظرنا- أن نترك للتشبيه كل قوته"[1]، ولعله بيّن بذلك سبب اختياره لمصطلح صباغة عوض صبغة، والتي تعني دين الله، وهو بدل من ملة كما أورد ذلك القرطبي في تفسيره من قول الأخفش.

9. ومن الأمثلة أيضا على أخطاء بيرك في الترجمة هو ترجمته لقوله عز وجل خاتم النبيئينمن سورة الأحزاب الآية 40: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين"، بقوله le Sceau des Prophètes، هذه العبارة التي تعني الترجمة الحرفية لكلمة "دمغة" أو "ختم" cachet ، أو بمعنى الختم الذي تختم به الأوراق أو السلع، ولقد لقي انتقادات شديدة تجاه هذه الأخطاء الفادحة في ترجمته حتى قالت الدكتورة زينب عبد العزيز :"لم يدرك أن "خاتم" هنا اسم فاعل من ختم، أي آخر الأنبياء، ولا نخاله يجهل كلمة ultime، بالفرنسية ليقول:

l'ultime Prophète، لكنه إذا صاغها بهذا الشكل لوقع في تناقض مع نفسه، وبدا وكأنه يعترف بنبوة سيدنا محمد وبأنه آخر نبي أرسل للعالمين"[2]، لذلك عمد إلى استخدام هذه الترجمة المحرفة والتي لا تعطي للأصل العربي معناه الحقيقي.

10. ومن المزالق التي وقع فيها بيرك أيضا هو ترجمته لقوله تعالى:"صم بكم عمي فهم لا يرجعون"[3]، ب:

Sours, muets, aveugles, perdus sans retour، وتعني ترجمته هذه:"صمّ، بكم، عمي، ضائعون بلا عودة!، وهذا خلل كبير ينم على أن المترجم بيرك عبّر عن الذين يعودون إلى الهداية بالضياع، وقطع الحكم عليهم أنهم كذلك، ثم أضاف "دون عودة"، في حين أن المقصود كما أشارت الدكتورة زينب عبد العزيز تعبير يشير إلى أنهم لا يرجعون إلى الهداية التي كانوا عليها، أو لا يرجعون عن قرارهم هذا بعد، واقترحت ترجمة بديلة لها، قالت: "كان بإمكانه أن يكتب قائلا:

C'est pourquoi ils n'en reviennent pas[4]

هذا فقط غيض من فيض وإلا فإن الأخطاء أكثر من أن تحصى، بالإضافة إلى حذف ألفاظ غير موجودة في النص أو زيادة أخرى وعلى سبيل المثال لا الحصر فإنه في سورة الإسراء التي ترجمها ب"المسيرة الليلية" وأضاف إليها أبناء إسرائيل وهي غير واردة في النص الأصلي ولم يسبقه أحد من المستشرقين بنحو ما فعل:

Le trajet nocturne ou les fils d'ISRAEL

وفيما يلي نعرض لهذه الترجمة في الجدول الآتي، مع عرض محل ورودها في ترجمة بيرك والمقترح المناسب لها:

---

[1]- ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك للدكتورة زينب عبد العزيز ص 51.

[2]- ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك للدكتورة زينب عبد العزيز ص49-50.

[3]- سورة البقرة الآية 17.

[4]- ترجمات القرآن إلى أين؟ مرجع سابق ص30.

الكلمة أو العبارة الأصل في القرآن الكريم	ترجمة جاك بيرك لها	موضع ورود المقابل في محاولة ترجمة بيرك	مقترح الدارسين للترجمة
النصر/ سورة النصر	Secours victorieux	الصفحة 703	victoire
إن نصر الله قريب	Secours de Dieu	الصفحة 55	La victoire d'Allah est plus proche
مسجد/ المسجد الحرام	Sanctuaire/oratoire	الصفحة 292	La sacrée mosquée
شعائر الله	Les repérages de Dieu	ص 46/ص355	Les rites
النبي	Envoyé	الصفحة 111	Prophète
الرسول	Envoyé	الصفحة 44	Messager
فلما رأى قميصه قُدَّ من دبر	Trouée	الصفحة 247	déchirée
إن الله لا يخلف الميعاد	Rendrez –vous	الصفحة 71	Promesse
صِبْغة الله	Teinture de Dieu	الصفحة 44	Religion
خاتم النبيئين	Sceau des prophètes	الصفحة 452	Ultime prophète
تاب الله على النبي	Dieu s'est repenti envers l'Envoyé		Faire rémission

معروف أن من أساسيات الترجمة والمصطلحية: الالتزام بالتعبير الواحد المقابل للفظ معين وعدم تبديله حتى لا يلتبس الأمر على القارئ، الشيء الذي لا نجده في ترجمة جاك بيرك ، بالإضافة إلى العديد من الحذف المتعمد في الترجمة، فقد حذف جملا وكلمات من آيات عدة، وأضاف كلمات أخرى في مواطن كثيرة، وهو ما يبرز عدم التزامه بمبادئ الترجمة النزيهة، وتحرّيه للأمانة العلمية التي تقتضي توصيل المعنى للقارئ بدون تحريف أو تشويه للنص الأصلي، ولعل هذا ما يؤكد نواياه المغرضة تجاه الإسلام والمسلمين.

يقول الأب روبير كاسبار متحدثا عن استهداف الغرب للإسلام من خلال القرآن الكريم:"...فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر، أي بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام، وقد تمت بناء على مبادرة من بطرس المبجل وتحت إشراف أسقف دير كلوني، ولا بد لنا هنا من إضافة: إن هذه الترجمة وكل الترجمات التي تليها لم يكن لها أي هدف آخر سوى أن تكون الأساس لتوجيه المزيد من الإدانات ضد القرآن، وتلك الإدانات التي امتددت سلسلتها على مدى قرون تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء"[1]، وشهد شاهد من أهلها، فهدف

[1] - Vatican II ص 209 نقلا عن الدكتورة زينب عبد العزيز ص 8 باختصار.

المستشرقين عموما هو تشكيك المسلمين في دستورهم الأسمى وقانونهم الأعلى الذي هو القرآن الكريم، لكن الله عز وجل تكلف بحفظه من كل زيف وتزوير ورغم ذلك لا يجب على المسلمين التقاعس والتخاذل، بل بالعلم والمعرفة يمكن التصدي لكل هذه المحاولات المغرضة.

لكن المستشرق الفرنسي لم يقف مكتوف الأيدي تجاه كل من وصفه بالعداء للإسلام ونهج أسلوب التضليل الممنهج، فدافع عن نفسه قائلا:"إنني مستعد أن أقبل أي اتهام آخر، أما العداء للإسلام فلا، وباحث في تراث العرب والمسلمين، وأعرف أكثر من غيري أن الإسلام دين عظيم، وأن عرب الأمس كانوا سادة الأمم عن حق وباقتدار، صحيح أن عرب اليوم هم في الدرك الأسفل بالنسبة لأجدادهم لكن ذلك لا يغير من حقيقة التاريخ التي أعرفها"[1]، واعتبر منتقديه بأنهم بعيدين عن المنهج العلمي، المبني على التحليل الدقيق في فهم النصوص، فقال رادا عليهم:"لقد غاب عن بال منتقدي أنني في كل تحليلاتي لم أتعرض للأصول والثوابت، وأصبحت جريمتي في نظرهم أنني أعتمد على أقوال أصحاب العلوم العصرية إلى جانب أقوال الفقهاء المسلمين، كما غاب عن بالهم أنني استخدمت هذا المنهج العلمي لتأكيد الرسالة المحمدية لا لدحضها، ولإثبات أن أصول الأحكام القرآنية صالحة لكل زمان ومكان وإن اختلفت التطبيقات، لكن ما حيلتي مع قوم عجزوا أن يتعرفوا عن السلعة بمجرد أن تبدلت ثيابها"[2].

رغم كل ما قاله جاك بيرك مدافعا به عن نفسه إلا أن ما قام به أكبر من أن يدفع التهم الثابتة عنه بالدليل القاطع، وما تم ذكره من أمثلة يوضح بجلاء هذا الأمر. هذا باختصار حول أثر ترجمة بيرك في الآخر، إما إيجابا أو سلبا، لكن مهما قيل فيها فإنها تستحق منا الدراسة الفاحصة، والنقد البناء المبني على العلم، ومقارعة الحجة بالحجة وإلا فإن ذلك لا يعد من العلم في شيء، وقد قال بعضهم بأنه لا يصبح الإنسان عالما إلا حينما يستوي عنده المدح والذم.

خاتمة

تعد ترجمة معاني القرآن الكريم من فروض الكفاية على المسلمين، وعليه فإن المسلمين مطالبون بأكثر من أي وقت مضى بأن يعكفوا على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الحية، ولِمَ لا إلى جميع لغات العالم لكي يتعرف الناس على عظمة هذا الدين، ورحمته وعدله، وكما يقال: "رُبَّ نقمة في طيها نعمة"، فترجمة معاني القرآن لجاك بيرك المستفزة أفرزت ترجمات أخرى جيدة نحو ترجمة محمد حميد الله الهندي، وترجمة محمد المختار ولد أباه الموريتاني، وترجمة زينب عبد العزيز المصرية.

رغم كل ما قيل في جاك بيرك فإنه اعترف ضمنا بالحضارة الإسلامية وعراقتها، فقد قال لطلبته في كوليج دو فرانس مرة: "إن الإسلام هو الذي نقل الفكر القديم وأثراه من خلال شروحات وتعليقات علماء أفذاذ مثل ابن رشد وابن سينا على كتابات أفلاطون وأرسطو". وزاد مستطردا موجها كلامه إلى الحضور:"حسبكم أن تتنزهوا في إسبانيا لتكتشفوا روائع قصر الحمراء لكي

---

[1]- شيخ المستشرقين الفرنسيين جاك بيرك ظالما أم مظلوما؟ لسعيد اللاوندي ص365-366.

[2]- المرجع نفسه ص 389.

تفهموا روعة الهندسة الإسلامية"[1]، إنه المستشرق جاك بيرك المثير للجدل، الذي ولد في الجزائر وترعرع في المغرب ومصر، ومات في غابات اللاند جنوب شرق فرنسا سنة 1995م مستغنيا عن مكتبته الغنية لكوليج دو فرانس، واكتفى ببعض المؤلفات المفضلة لديه بلغات مختلفة، أغلبها يتعلق بالشعر والتفسير إلى جانب لسان العرب لابن منظور الإفريقي.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر والمراجع المعتمدة:

1. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية، 1348هـ، 1964م.
2. مبادئ الترجمة وأساسياتها للدكتورتين إيناس أبو يوسف وهبة مسعد، كلية الإعلام بالقاهرة 2005م.
3. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم لمحمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثانية 1983م.
4. ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك للدكتورة زينب عبد العزيز، الطبعة الأولى 2005م مكتبة وهبة القاهرة، مصر.
5. الاستشراق والقرآن الكريم لعلي بن إبراهيم النملة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثالث السنة الثانية.
6. شيخ المستشرقين الفرنسيين، جاك بيرك ظالما أم مظلوما؟ لسعيد اللاوندي.
7. ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك للدكتور حسن بن عزوز. توجد النسخة الرقمية للكتاب على الرابط:

   http://www.muslim-library.com/arabic/%/

8. Le Coran essai de traduction de l'arabe annoté et suivi d'une étude exégétique par Jacque Berque, edition Sindibad Paris 1990.
9. Jacques Berque et son « autre », wadi Bouzar, confluences Méditerranée –N°41 Printemps 2002.

[1]- شيخ المستشرقين الفرنسيين جاك بيرك ظالما أم مظلوما؟ لسعيد اللاوندي ص 372.